تجربة مركز اللغات في الجامعة الأردنية في تعليم اللغة العربية لأغراض خاصة: سياسية ودبلوماسية [1]

د. بسمة أحمد صدقي الدجاني

أستاذ مساعد في مركز اللغات بالجامعة الأردنية

مدخل

يهتمُّ مركز اللغات في الجامعة الأردنية اهتماماً خاصّاً ببرنامج تدريس اللغة العربية للناطقين بغيرها لأغراض مهنيّة. فمنذ عامين وهناك دورات خاصة تُعقد باستمرار لتدريس اللغة العربية في المجال السّياسي والدّبلوماسي. هذا وقد تميّز البرنامج العام لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها في المركز تميّزاً ملحوظاً منذ بدء التّدريس فيه عام 1979 – 1980م، حيث يزخر بأعداد كبيرة مِن الطّلاب كل فصل دراسي مِن أنحاء عديدة مِن العالم [2].

إن الإقبال على دراسة اللغة العربية عالمياً في ازدياد ملحوظ. ويأتي الرّاغبون في دراستها من جميع الجهات، ويُبدون حرصهم على الاستفادة التّامة خلال فترة إقامتهم في الدّولة العربية التي يتواجدون فيها لاكتساب هذه اللغة الجديدة. خاصةً وأنّها ليست باللغة السّهلة على غير أبنائها.

ولظاهرة العالمية [3] التي نعيشها اليوم دور فعّال في إرساء مفاهيم جديدة تجاه هذا الموضوع لدى الدّول الكبرى والدول المتقدّمة. وللعالمية كذلك مساهمة في إفراز جيل جديد مِن طُلاب العلم ومحبّي تعلّم اللغات ممّن يهدفون إلى اكتساب فرص عمل بشكل أوسع في عالمنا الحديث.

---

[1] تقرير منشور في المجلة العربية للدراسات اللغوية، العددان20 /21 - ربيع الآخر 1424 هـ / يونيو 2003م. ص 91 - 101.

[2] فمن قارة آسيا يأتي طلاب من الصين واليابان وتايوان وكوريا الجنوبية وماليزيا والباكستان وروسيا والشيشان وبروناي وتركيا. ومن قارة أوروبا يأتي طلاب من التشيك والدنمارك والنرويج وهنغاريا وبلغاريا وأسبانيا والبرتغال وسويسرا وإيطاليا وهولندا وبريطانيا واسكتلندا وفرنسا وليختنشتاين والنمسا وألمانيا واليونان وأيسلندا وفنلندة. ومن القارتين الأمريكيتين تأتي مجموعات طلابية كبيرة للتبادل الثقافي والدراسي من الولايات المتحدة الأمريكية وكندا ومن الإكوادور وكولومبيا وبنما وبيرو.

[3] العالمية هي قترح تسمية للوجه الإيجابي للعولمة، اعتماداً على الآية الكريمة "الحمد لله رب العالمين" في سورة الفاتحة. د. أحمد صدقي الدجاني.

لقد أدركت كثير مِن الجهات الحكومية الأجنبية مدى أهميّة تعلّم مُمثّليها في الدّول العربية هذه اللغة، وضرورة إتقانهم لها في مجالات أعمالهم. وأبدت استعدادها لتكلّف مصاريف غير قليلة مِن أجل تحقيق هذه الغاية بشكل جيّد وبمستوى عال.

تُقدّم هذه الورقة عرضاً للجانب العملي في تعليم العربيّة لأغراض سياسيّة دبلوماسيّة من خلال تجربة مركز اللغات بالجامعة الأردنية.

تجربة مركز اللغات

إن مِن أبرز التّجارب التي قامت في الجامعة الأردنية مؤخراً تجربة التّعاون اللغوي بين مركز اللغات فيها والمعهد الدّبلوماسي البريطاني التّابع لوزارة الخارجية البريطانية. وتبع ذلك تجربة تعاون أخرى ناجحة بين المركز ووزارة الخارجية الأسترالية.

فقد وفّق مركز اللغات في استقطاب عدد مِن موظفي وزارة الخارجية البريطانية مِمّن يهدفون إلى تعلّم اللغة العربية مِن أجل مُمارسة العمل في إحدى الدّول العربية. وأبرز ما يُميّز هؤلاء الموظّفين الدّبلوماسيين مجيئهم بهدف واضح لتحقيق أغراض واضحة يُعبّرون عنها بصراحة تامّة لمن يتعامل معهم.

غالباً ما يصل أولئك الدّبلوماسيين إلى مركز اللغات في الجامعة الأردنية وقد حقّقوا شيئاً مِن تعلّم اللغة العربية في معهدهم الدّبلوماسي في بلدهم. إلا أن فترات دراستهم الأوّليّة تختلف فيما بينهم بجانب تباين قدراتهم على استيعاب مبادئ اللغة العربية. ومن الجدير بالذكر مدَى دقّة المسؤولين عنهم في موطنهم في إجراء اختبارات تحديد مستواهم اللغوي قبل إرسالهم إلى الأردن، ومِن ثم إيصال النتائج لمن سيشرف على تدريسهم في مركز اللغات. فلهذا التّواصل المستمر بين المسؤولين في الجهتين فائدة كبيرة تعود على الدّارس.

يدرس الدّبلوماسي اللغة العربية في دورة خاصة مكثّفة. ويكون منهج هذه الدّورة مختلفاً عن مناهج البرنامج الدّراسي العادي الذي يُقدّمه المركز في المستويات السّتّ لتعليم اللغة العربية للناطقين بغيرها. وأبرز ما في هذه الدّورة الخاصّة أن الطّالب يكون بمفرده مع المدرس. وبهذا يُحقّق الخصوصيّة التّامة لمنهج دراسته. ثم تستمر الدورة غالباً لفترة لا تقلّ عن ستّة أشهر وتقترب أحياناً مِن العام. ويلتقي الطالب بمدرّسيه في الصّفّ بمعدل يتراوح بين ثلاث إلى أربع ساعات يومياً لخمسة أيام في الأسبوع. ويُباشر تدريس الطالب في دورته هذه ما بين مدرسين اثنين إلى ثلاثة مِن المركز.

تحليل المنهج المطبّق في الدورات الدبلوماسية الخاصة في مركز اللغات

إن المطلب الأساسي لدى الدّبلوماسيين الأجانب هو أن تُقدّم لهم مجموعة مِن الدّروس والمحاضرات اللغوية المترابطة والمتكاملة. وأن يكون هناك تنسيق مثمر مِن أجل مواجهة المتطلّبات الدّبلوماسية في مضمار اللغة. وهذه هي بعض المحاور الرئيسية:

المحور الأول: المفردات والمصطلحات

يحتاج الدّبلوماسي إلى مناقشة العديد مِن القضايا بجانب الموضوعات اليوميّة البسيطة. فممارسة اللغة المحكيّة مفيد للتسوّق واستخدام وسائل المواصلات والتّعارف الاجتماعي السّريع، إلا أن التّركيز الأكبر على المفردات يجب أن يكون حول ما يتعلّق بالمحاور الآتية [4] :

- السّياسة الدّاخلية: الانتخابات، الأحزاب، برامج المرشّحين الحزبيين، الاضطرابات السّياسيّة المحليّة.

- الاقتصاد القومي: التّطوّر الاقتصادي، الميزانية، البطالة، التّضخّم الاقتصادي.

- التّجارة: الاستيراد، التّصدير، العجز والفائض في الميزانية، المعوقات التّجاريّة.

[4] وردت بعض هذه المقترحات من إحدى الطالبات الدبلوماسيات الأستراليات في المركز.

- المعونات الخارجيّة: المنح، القروض، المساعدات الطارئة خلال الكوارث.

- حقوق الإنسان: سُجناء الرّأي، التّعذيب، الاضطهاد، تقييد الحريات، اللاجئون.

- الحروب والصّراعات: الحروب الدّاخليّة والخارجيّة، الاضطرابات المحلّيّة، الحركات الانفصاليّة.

- نزع الأسلحة: التّحكّم في أسلحة الدّمار الشّامل، الألغام، التّسلّح الخفيف.

- النّظام العالمي: المنظّمات الدّوليّة الحكوميّة وغير الحكوميّة، مناصرة المرشّحين الوطنيين لتنصيبهم وظائف دوليّة، قرارات مجلس الأمن.

- قضايا البيئة: تغيّر مظاهر الطقس، انخفاض طبقة الأوزون.

- اللغة الرّسميّة المناسبة: لمخاطبة الجمهور، التّعارف وتقديم الأشخاص، تبادل التّهاني والتّعازي.

وهكذا يطلب الدّبلوماسي إلى مُدرّسيه بداية التّركيز على جوانب بعينها في دراسته للغة العربيّة، وخاصةً المحاور السّياسيّة التي سيتخصّص فيها في وظيفته بالوطن العربي؛ كالقضيّة الفلسطينيّة والسّلام في الشّرق الأوسط أو القضيّة السّودانيّة أو المشكلة العراقيّة، وغيرها مِن الظّروف الدّاخليّة الخاصّة بالدّولة العربيّة التي سيستلم موقعه فيها كاليمن أو لبنان.

ويهتم هذا الدّارس كذلك بالقضايا الاجتماعيّة، والتّعرّف على خصائص البيئة الجديدة التي سيستقرّ فيها. فنجده يُطالب بتخصيص مادّة وفيرة حول هذه المحاور الاجتماعيّة البارزة ومناقشتها مِن وجهات نظر مقارنة. حينئذ يضع المدرّس الهدف أمامه واضحاً، وهو تمكين الدّبلوماسي الأجنبي مِن استخدام مهاراته اللغوية بشكل طبيعي لإقناع مَن أمامه بأفكاره.

كما أنه مِن المفيد أيضاً تقديم ملامح مبسّطة لبعض روائع الأدب العربي، سواء في الرّواية أو الشّعر أو النّقد، مما يُتيح للدّارس مجال المقارنة الخفيفة بين ما يُميّز أسلوب الكتابة في الأدب العربي ومثيله في الأدب الإنجليزي. ويمكن أن يتمّ ذلك مِن خلال تقديم نماذج للأعمال السّلسة لأعلام الأدب العربي وتعريفه بأسمائهم، ومجالات إبداعهم، وأبرز إنتاجهم.

المحور الثاني: المهارات اللغوية

إن المهارة اللغويّة الرّئيسيّة التي يهدف الدّبلوماسي تحقيقها هي استيعاب وفهم ما يقرأه في الصّحافة المحليّة، وما يسمعه في وسائل الإعلام: المذياع والتّلفزة. وثانياً أن يتمكّن مِن التّواصل الفعّال عند مناقشة القضايا السّياسيّة مع مَن حوله، كعرضه لقضية ما أو محاولة إقناع مَن أمامه بوجهة نظره، أو التّفاعل مع وجهات النّظر المقابلة ومخالفتها. لذلك فإن تدريس القواعد يجب أن ينبع مِن هذا الأساس، أي أن القواعد لا تُدرّس كمادة منفصلة، بل تتداخل مع دُروس مهارة التّحدّث والتّعبير. وهذا ما ورد عند بعض هؤلاء الطّلاب أن الدّبلوماسي الذي يتمكّن مِن مناقشة موضوعات مختلفة مع الوقوع في أخطاء نحويّة قليلة هو أفضل بكثير مِن زميله الذي يُحسن التّحدّث دون أخطاء، ولكن في موضوعات أقل وبمستوى محدود. وقد كان مِن المُلاحظ على الدّارسين الدّبلوماسيين استجابتهم البسيطة لتخصيص ساعات دراسيّة نظريّة للقواعد النّحويّة والصّرفيّة، في حين يرغبون كثيراً بتخصيص ساعات للتعبير الشّفوي في الموضوعات التي تتعلّق بعملهم الدّبلوماسي.

المحور الثالث: المراجع والكتب

هناك نقص واضح في توفير المراجع والكُتب السّياسيّة المُتخصّصة لتعليم اللغة العربيّة للناطقين بغيرها إلى الآن. والحل الأمثل لمعالجة هذا النقص بصورة سريعة هو الاستعانة بالمصادر الواقعيّة المطروحة يوميّاً مثل ما يُكتب في الجرائد، والمقالات الصّحفيّة في المجلّات، وما يستمع إليه في أخبار الإذاعة والتّلفزة، وما ينشر مِن خطابات. فتوفير مثل هذه الموضوعات السّياسيّة الواقعيّة، والمأخوذة مِن الحياة اليوميّة، وتناول ما يدور حول المتعلّم يكون كاف بالغرض في حينه. إلا أن الحاجة ماسّة لنشر المزيد مِن المراجع والكُتب السّياسيّة المتخصّصة في تعليم العربيّة للناطقين بغيرها في المستويين المتوسّط والمتقدّم خاصّة.

وقد قام أحد المُدرّسين في مركز اللغات بتأليف كُتب لتعليم العربيّة لأغراض خاصّة للدّبلوماسيين عن الانتفاضة والقضايا السّياسيّة الفلسطينيّة [5]. وتمّ الاستعانة بهذه الكُتب في التّدريس، وحقّقت فائدة كبيرة في موضوعها.

وأما عن تدريس مهارة الاستماع فيتطلّب مِن المدرّس تحضير مادّة مسجّلة مِن أخبار المذياع، والقيام بعمل تدريبات عليها. وعند إعادة الاستماع إليها مع الطالب ومناقشتها يشعر الطّالب الدّبلوماسي بمتابعته لمُجريات الأمور مِن حوله، ويُبدي تجاوباً إيجابياً أكثر مع الجوّ المحيط به.

إن الاهتمام بالمادّة المقدّمة لتدريس الدّبلوماسيين الأجانب غاية في الأهمّيّة حيث أن كثيراً منهم يكون إلمامهم بقضايا وطننا العربي ضعيف جداً. كما يظهر جلياً عدم معرفتهم بعض التّفاصيل التّاريخيّة الصّحيحة لمنطقتنا. وهذا نتيجة أن أفكارهم عما يدور في منطقة الشّرق الأوسط مأخوذة مِن إعلامهم الذي يُصوّر ويعرض مِن وجهة نظر خاصّة. مما يتطلّب مِن المُدرّس تقديم مادّة واضحة ودقيقة ومثيرة لاهتمام الدّارسين الدّبلوماسيين، وأن يُحسن في تنظيمها وعرضها.

نماذج لتجربة مركز اللغات في دوراته الدبلوماسية الخاصة:

- النّموذج الأوّل لموضوعات تمّ طرحها لتدريس مهارة التّحدّث لمسؤول مِن سفارة المملكة المُتّحدة في الأردن في دورة خاصّة مكثّفة:

- المياه في الأردن: أهمية المياه في الأردن للإنسان والزّراعة والصّناعة. شحّ الموارد الطبيعيّة، قلّة الأمطار، التّصحّر وإدارة موارد المياه، مشاريع السّدود في الأردن وأهميتها.

[5] د. رائد عبد الرحيم: نصوص عربية للمستوى المتوسط من غير الناطقين بالعربية،2001م، ونصوص سياسية للمستويين المتوسط والمتقدم من غير الناطقين بالعربية، 2002م.

- الإسلام في المجتمع الأردني: الإسلام دين تسامح، غالبية المواطنين يتبنّون الإسلام المنفتح الذي يمنح المرأة حقوقاً متميّزة، حقّ الانتخاب والتّعلّم، وحقّ قيادة السّيارات والتّملّك، نظرة الغربيين إلى الإسلام كأحد الدّيانات السّماوية الثلاث.

- الإعلام في الأردن: التلفزيون والإذاعة والصّحافة، مقارنتها مع مثيلاتها في بريطانيا، رُدود فعل المُشاهدين، طبيعة البرامج التي تصلح للمُشاهد الأردني.

- البيئة وأهمّيّة المُحافظة عليها في الأردن: تقنيات أو تكنولوجيات إعادة تصنيع الورق، الاهتمام الحكومي والمنظمات غير الحكومية بقضايا البيئة والتّوعية البيئية.

- التّعليم العالي: الخاص والعام، الجامعات الخاصّة، المساقات التي تُدرّس، حاجات سوق العمل، التّخصّصات العلميّة، التّخصّصات الأدبيّة، مُستوى التّعليم بشكل عام، والنّظر إلى أن التّعليم يُعتبر سبيلاً لارتفاع مُستوى المعيشة.

- التّعليم المهني: كلمة في افتتاح مدرسة تعليم مهني، دور التّعليم المهني في الحدّ مِن البطالة، تطوير مهارات المُتدرّبين، مساعدات فنية، مشاركة المرأة في التّدريب المهني، التّشريعات المُتعلّقة بالتّعليم، والحوافز أو الرّواتب الممنوحة للطلاب.

- كلمة في افتتاح مركز حاسوب: دور تكنولوجيا المعلومات في التّنمية، أهمّيّة تعلّم مهارات الحاسوب، تأثير ثورة المعلومات وشبكة المعلومات في حياة المواطن في الدول النامية، أهمية تأهيل المواطن (الطالب) في المناطق النائية.

- كلمة في افتتاح عيادة صحية: الاهتمام بالصّحة العامة، وصحة الأم والطّفل، حملات التّطعيم الوطنيّة، ضرورة توافر الأجهزة الطّبّيّة، ضرورة توافر الطاقم الفني، نظرة على الإحصائيات المتعلّقة بالصّحة العامّة في الأردن.

- كلمة في استقبال فوج سياحي: ترحيب، السّياحة والمواقع السّياحيّة في الأردن، المناخ والمناطق السّياحيّة، الحضارات والآثار المختلفة التي لها أهمّيّة في الأردن، أساليب تشجيع السّياحة الأوروبية.

- كلمة في حفل توقيع اتفاقيّة تعاون: إلى ماذا تهدف الاتفاقيّة، مَن المستفيدين مِن تنفيذ الاتفاقيّة أو المشروع، هل المشروع متعدّد المراحل، نتائج تنفيذ المشروع على المجتمع.

- ما يُقال عند تقديم واجب العزاء، والتهنئة، والمعايدة.

النموذج الثاني لتدريس نصوص ومصطلحات لطالبة دبلوماسية استرالية متقدّمة المستوى [6]

- المعاهدات الدّولية وأنواعها، مشروعيتها، مراحلها، أثرها، تعديلاتها وعُيوبها، بُطلان المُعاهدات الدّولية وانقضاؤها: بالاتّفاق أو بدون اتّفاق (بالحرب).

- العلاقات الدّبلوماسيّة الدّوليّة: تشكيل البعثات الدّبلوماسيّة، وظائفها، حصانة مقر البعثة الدّبلوماسيّة والوثائق والحصانة القضائية والجنائية لأفراد البعثات الدّبلوماسيّة.

- النّزاعات الدّولية وأسبابها: فضّ النّزاعات الدّولية بالطّرق السّلميّة وبالطّرق القضائيّة وبالطّرق العسكريّة.

- السّياسة الأمريكية في العالم العربي والإسلامي: تطوّر السّياسة الأمريكية، الاستراتيجية الأمريكيّة في الخليج العربي.

خاتمة

إن تعريف مصطلح تعليم اللغة العربيّة لأغراض خاصّة كما ورد في إحدى المقالات هو: ذلك المنهج الذي حُدّدت مقرراته بصفة أوّليّة وفق تحليل مسبق لحاجات المتعلّم، وليس على أساس

[6] قام الزميل خالد القضاة بتدريس هذه الموضوعات في دورة تدريس اللغة العربية لأغراض خاصة في مركز اللغات في الجامعة الأردنية.

تفضيل المعلّم أو المؤسسة التعليميّة التي يلتحق بها لمنهج مُعيّن في تعليم اللغة. أي يكون التّركيز على المُتعلّم وعلى الأغراض المحدّدة التي مِن أجلها يتعلّم اللغة الأخرى. فالمادّة الدّراسية مبنية على هذا المفهوم [7].

ولكن علينا مراعاة أن تحديد أغراض المتعلّمين لا يجب أن يؤدّي إلى حصر التّعليم في مجال ذلك الغرض فحسب. فكما يقول وليد العناتي: " إن الاستعمال اللغوي المتخصّص مبني على كفاية لغويّة عامّة. فالقواعد واحدة، وهناك جوانب معجميّة مشتركة بين مجالات الاستعمال. واللغة ليست مجرد معجم متخصّص، فالمقصد النهائي مِن هذا المنحى توفير كفاية لغويّة تواصليّة للمتعلّم مع التّركيز على مجال مُتخصّص بعينه "[8].

لقد تبيّن بعد التّجربة أن تعليم العربية لأغراض سياسيّة ودبلوماسيّة فيه الكثير مِن المتعة الدّراسيّة للمعلّم والدّارس مع ما فيه مِن تبادل ثقافات وإجراء حوارات ومناقشات فكريّة عميقة. كما أنّه مجال جيّد لنشر اللغة العربيّة بشكل أوسع في العالم غرباً وشرقاً. وهو ما نحتاج إليه في الوقت الحاضر لإيصال الحقائق التاريخيّة للعاملين في المجال السّياسي والدّبلوماسي في كل البلاد، ولمواجهة ما نُعانيه مِن تزييف وتضليل مِن جانب القوى المعادية لحاضرتنا العربيّة الإسلاميّة. لذلك يجب على المُتخصّصين في تعليم اللغة العربيّة في وطننا العربي الاهتمام كثيراً بهذا المحور، وبذل مجهودات أكبر في ترسيخ هذا المجال الدراسي، وتعزيزه بكل ما يلزمه مِن مراجع ومناهج حديثة متطوّرة. هذا بجانب أهمّيّة اختيار القائمين على تدريس اللغة العربيّة لأغراض سياسيّة في المؤسسات المعنيّة. فإن دبلوماسية المُدرّس هي إحدى أبرز الصّفات التي يجب أن يتحلّى بها عند تدريسه اللغة العربيّة للدبلوماسيين الأجانب. فيجب على المُدرّس التّذكّر دائماً أن الهدف الأساسي هو جذب المُتعلّم للغة العربيّة، وتحقيق المكسب اللغوي والفائدة الكبيرة المرجوّة منه.

---

[7] عشاري أحمد محمود، تعليم العربية لأغراض محددة، المجلة العربية للدراسات اللغوية، مج1، العدد 2، 1983، ص 116.

[8] د. وليد أحمد محمود العناتي، تعليم العربية لغير الناطقين بها في ضوء اللسانيات التطبيقية، رسالة ماجستير في اللغة العربية، الجامعة الأردنية، 1997، ص 86.